السَّنة الرابعةُ والتِّسعون بعد المئة

فيها عزل الأمينُ أخاه القاسمَ عن الثُّغور والعواصم [وما ولَّاه أبوه من الشام] وولَّى مكانه خُزيمةَ بن خازم، واستدعاه إلى بغدادَ وأمره بالمُقام عنده.

وفيها عصا أهلُ حمص، وكان العاملَ عليهم إسحاقُ بن سليمان، فخرج عنهم فأقام بسلَمْيَة، فاستضعفه الأمينُ، وولَّى عليهم عبدَ الله بن سعيدٍ الحَرَشي، فسار إليهم فحصرهم، وضربها بالنِّيران من جوانبها، فسألوه الأمان فأمَّنهم.

وفيها أمر الأمين بالدُّعاء لابنه موسى على المنابر.

وفيها ظهر الفسادُ بين الأمينِ والمأمون[1]، وكان السببُ في ذلك أنَّ الفضل بن الربيع لما ردَّ المالَ والمتاع الذي أَوصى به هارونُ للمأمون إلى بغداد، قال في نفسه: متى أفضى الأمرُ إلى المأمون لم يُبقِ عليّ، فسعى في الوقيعة بين الأمينِ والمأمون، وأَغرى الأمين، وأشار عليه بصرفه عن ولاية العهدِ إلى ابنه موسى، ولم يكن ذلك رأيَ الأمين، واتفق معه عليُّ بن عيسى بنِ ماهان والسِّنديُّ وغيرُهما موافقةً للفضل، فأزال محمَّداً عن رأيه الأوَّل، وأجاب الفضلَ إلى خلع المأمونِ والدُّعاءِ لابنه موسى، ثم توقَّف، فحمله الفضل، فكتب إلى الأمصار، فدعا له وبعد المأمونِ لموسى، وأسقط القاسم، ولما بلغ المأمون ذلك، قطع البريد عن محمَّد، وأسقط اسمه من دار الضَّرْب والطِّراز[2].

وكان رافعُ بن الليث -لمَّا انتهت إليه أخبارُ المأمون وحسنُ سيرته- رغب في طاعته، وبعث إلى هَرْثَمَةَ وهو محاصرُه بسَمَرْقَنْدَ يطلب الأمان، فكتب هرثمةُ إلى المأمون يُخبره، فكتب له أماناً، وسار رافعٌ من سمرقندَ إلى مَرْو، فقدمها على المأمون، فأكرمه وأدناه وأحسنَ إليه، وأعطاه الأموالَ وغيرها، فأقام عنده بمرو، وأقام هرثمةُ بسمرقندَ على حاله، ومعه في عسكره طاهرُ بن الحسين، ثم استأذن هرثمةُ

---

(١) بعدها في (ب): وحج بالناس داود بن عيسى. واختصر بهذا الأحداث الآتية كلها.

(٢) الطراز: الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجيدة. القاموس المحيط (طرز).

المأمونَ في القدوم عليه، فأذن له، فسار إلى جَيْحون، فوجده جامداً، فعبر عليه بعسكره، ووصل إلى مرو، فتلقَّاه الناس، وأكرمه المأمون وولَّاه حَرَسه، وكتب عيونُ محمَّد إليه بذلك فأنكره، وشرع في التدبير على المأمون، وكتب كتاباً إلى العباس بنِ عبد الله بنِ مالك عاملِ الرَّيِّ من قِبَل المأمون يأمره أن يبعثَ إليه بغرائب غَرْسِ الريِّ على اختلاف أنواعه، وكان قصدُه امتحانَه، فأرسل إليه العباسُ بما طلب، وكتم ذلك عن المأمون وذي الرياستَين، وبلغ المأمون فعزل العباسَ عن الرَّيِّ، وولَّى الحسنَ بن عليٍّ المأموني.

ثم إنَّ محمَّداً أرسل إلى أخيه المأمونِ رسلاً ثلاثة: أحدُهم العباس بنُ موسى بنِ عيسى، وصالحٌ صاحب المُصَلَّى، ومحمَّد بنُ عيسى بن نَهيك. وكتب معهم كتاباً يسأله تقديمَ[1] موسى عليه، ويخبره أنه سمَّاه الناطقَ بالحقّ، وما نطق حينئذٍ قطُّ لا بحقٍّ ولا بباطل، وكان ذلك برأي الفضلِ وابن ماهانَ والسِّندي.

ولمَّا بلغ ذا الرياستين مسيرُهم، كتب إلى العمَّال بالرَّي وقُومِسَ ونَيْسابورَ وسَرْخَسَ وغيرِها أن يتلقَّوهم بالعُدَد والفرسان، والسلاحِ التامّ، وإظهارِ الزِّينة، ففعلوا، ثم قدموا مَرْو، فدخلوا على المأمون، فناولوه كتابَ أخيه، وأبلغوه الرِّسالة، فردَّ ذلك المأمون، فقال العباسُ بن موسى للمأمون: وما عليك أيها الأميرُ من ذلك؟! فهذا جدِّي عيسى بنُ موسى قد خُلع وما ضرَّه، فصاح به ذو الرياستين: أُسكت؛ فإن جدَّك كان في أيديهم أسيراً، وهذا بين أخوالِهِ وشيعته ورجالِه وأمواله وبلاده، فقاموا، وأنزل ذو الرياستين كلَّ واحدٍ منهم منزلاً، ثم جاء إلى العبَّاس ليلاً وخلا به، وأرغبه في طاعة المأمون، وقال: أين ذُهب بك في نسبك وفضلِك عن المأمون؟! وأعطاه ولايةَ الموسم، وأقطعه بمصرَ وغيرِها أموالاً، فأجاب وبايع المأمون، فكان بعدُ يطالعهم بأخبار محمَّد، ويشير عليهم بما يعتمدونه.

ولمَّا عاد الرسلُ إلى محمَّد وأخبروه بجواب المأمون، ألحَّ عليه الفضلُ وابن ماهانَ بالبَيعة لابنه موسى وخلعِ المأمون، ففعل، وأحضرَ ابنَه موسى عليَّ بن عيسى بن ماهان

(١) في (خ): بقدوم، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٣٧٦، والمنتظم ١٠/ ٤، وانظر الكامل٦/ ٢٢٩ .

بالبيعة وولَّاه العراق، وكان الأمين يشاور قوَّاده وخواصَّه في خلع المأمونِ فيأبون عليه، وقال له خُزيمةُ بن خازم: لا تجرِّئ القوَّادَ على الخَلْع فيخلعوك، ولا تَحْمِلهم على الغَدْر ونَقْضِ العهود فينقضوا عهدَك ويغدروا بك. فلم يقبل، وخلع أخاه، وبعث إلى الأمصارِ بذلك، وبعث إلى الكعبة وأخذ الكتابَين فمزَّقهما، وأجاز بني شيبةَ بمال كثير، فقال الناس: مُزِّق ملكُه.

وكان محمَّد قد كتب إلى المأمون قبل مكاشفتِه يسأله أن ينزلَ له عن كُوَرٍ من خُراسانَ سمَّاها له، وأن يكونَ بها بريدٌ من قِبَله يكتب إليه بأخباره، فشقَّ ذلك على المأمون، واستشار الفضلَ والحسن ابنَي سهل، فأما الفضلُ فقال: الأمر خَطِر، ولك من شيعتك وأهلِ ولايتك بِطانةٌ لهم أُنسٌ بالمشاورة، وفي قطع الأمر دونهم وَحشة، وظهورُ قلَّةِ ثقة، فَرَ رأيك في ذلك. وقال الحسن: شاوِرْ في رأيك مَن تثق بنصيحته، وتألَّف العدوَّ فيما لا اكتتامَ له بمشاورته.

فأحضر المأمونُ خاصَّته، وشيعته، وأهلَ مودَّته، وأخبرهم الخبر، فقالوا: أيها الأمير، قد سألتَ عن أمرٍ خطير، فاجعل لبديهتنا حظًّا من الرَّوِيَّة والنَّظَر، فقال: هذا هو الحَزْم، وأجَّلهم ثلاثاً، فتروَّوا، ثم اجتمعوا عند المأمونِ والفضلُ بن سهل حاضر، فكلُّهم أشار بأن يعطيَ للأمين ما سأل، إلَّا أن عباراتِهم اختلفت، فقال بعضُهم: كان يقال: إذا كان الأمرُ خطراً، فإعطاؤك مَن نازعك طرفاً من بُغيته مع قدرته أمثلُ من أن تصيرَ[1] بالمنع إلى مُكاشفته. وقال آخر: لا تأمن أن يكونَ فسادُ يومِك راجعاً بفساد غدِك. وقال آخَر: لا أرى مفارقةَ مَنزلة سَلامة، لعل أن تُعطى منها العافية.

فقال لهم ذو الرِّياستين: قد اجتهدتم في النصيحة والرأي، غير أنَّ رأيي مخالفٌ لرأيكم، قالوا: ولِم؟ قال: ألستم تعلمون أنَّ محمَّداً تجاوز إلى طلب شيءٍ ليس له بحقّ؟ قالوا: نعم، قال: فهل أنتم على بيِّنة وثقةٍ أنه لا يتجاوز إلى طلب شيءٍ آخر؟ قالوا: لا.

ثم قال للمأمون: هل تأمن أن يكونَ أخوك طلب ما طلب ليستظهرَ به غداً عليك

(١) في (خ): يضر، والمثبت من تاريخ الطبري.

ويتقوَّى على مخالفتك؟ قال: لا، قال: فانظر ماذا ترى، فقال: يا فضل، أُكتب إليه: وَرَدَ كتابُ أمير المؤمنين يسألني التجافيَ عن مواضعَ سمَّاها الرشيدُ في عَقده وعَهده، وجعل أمرَها إليّ، ولو لم يكن ذلك مبيَّناً في عهوده، وأنا على الحال التي أنا عليها من مجاورة الأعداءِ، وجندٍ لا يطيعون إلَّا بالمال؛ لقد كان يجب على أمير المؤمنين أن يقسمَ لي حظًّا من عنايته، ويقطعَ لي طَرفاً من ماله، وإنِّي أعلم أنَّ أمير المؤمنين لو علم ما أنا فيه [لما][1] كتب إليَّ بما كتب، والسلام. وذكر كلاماً بمعناه.

ثم إنَّ المأمون احترز على الطُّرق، وأقام الطَّلائع والبُرُد، وبثَّ الحَرسَ في الأماكن بحيث لا يصل إلى أحدٍ من خراسانَ كتابٌ ولا جواب، فأمن ناحيتَهم، وحَصَرهم من أن يُستمالوا برغبةٍ أو رهبة، وبعث محمَّد جماعةً ليناظروا المأمونَ في منعه ما كان سأله، فلما وصلوا إلى الريِّ وجدوا الحرسَ والطلائع، ومُنعوا من المسير إلى مَرْو، وكتب عاملُ الرَّي إلى المأمون يخبره بهم، فجاء كتابٌ بحملهم إليه، فحُملوا وقد أُحيط بهم واحتُرز عليهم، فلا يصل إليهم خبرٌ ولا يخرج من عندهم خبر، وكان في نيَّتهم بَذْلُ الأموال والولايات للفارقين، فوجدوا ذلك ممنوعاً، فحُملوا إلى المأمون ومعهم كتابُ الأمين، وفيه:

أما بعد، فإنَّ الرشيد وإن كان أَفردك بما ضمَّ إليك من كُور الجبال[2] تأييداً لأمرك، فإنَّ ذلك لا يوجب لك فَضْلةَ المالِ عن كفايتك، وقد ضمَّ إليك كوراً لا حاجةَ لك إليها، والواجب أن تكونَ مردودةً في أهلها.

فكتب إليه المأمون: لا تبعثني يا ابنَ أبي على مُخالفتك وقطيعتِك، وأنا مُذْعِنٌ بطاعتك، وعلى ما كنتُ من صِلَتك، وارضَ بما حكم به الحقُّ في أمرك، أكُن في المكان الذي أنزلني الحقُّ فيما بيني وبينك، والسلام.

ثم قال للرسل: أَبلِغوه أنِّي لا أزال على طاعته، إلَّا أن يضطرَّني بترك الحقِّ الواجب إلى مخالفته. فذهبوا يقولون، فقال: أَحسنوا تأديةَ ما سمعتم، ففي مكاتبتي إليه كفاية،

(١) زيادة يقتضيها المعنى، وانظر تاريخ الطبري.

(٢) في تاريخ الطبري ٨/ ٣٨٠: الجبل.

فرجعوا خائبين ما أمَّلوه، ولقُوا جدًّا غيرَ مَشُوبٍ بهَزْل.

وقيل: إنَّ المأمون قال لذي الرياستين: إنَّ ولدي وأهلي ومالي بحضرة محمَّد، وكان [مئة][1] ألفِ ألفِ درهم[2]، وأنا مُحْتاجٌ إلى ذلك، فما ترى؟ فقال: إنْ أنت كتبت إليه فمنعك، صار إلى خلع عهدِه، فاضطرَّك إلى محاربته، وإنِّي أكره لك أن تكون المُفْتَتِحَ بابَ الفُرقة، ولكن اكتب إليه بتوجيه أهلِك، ومطالبته بحقِّك على وجهٍ لا يتطرَّق إليه المَنْع، فإنْ أجاب فهو العافية، وإن أبى لم يكُنْ سبباً للحرب. فقال: اكتب إليه، فكتب:

أمَّا بعد، فإنَّ نظرَ أمير المؤمنين للعامَّة نظرُ مَن لا يقتصر على إعطاءِ النَّصفة من نفسه حتى يتجاوزَها إليهم ببرِّه وصِلَته، وإن كان ذلك رأيه في عامَّته، فأَحرى أن يكونَ في خاصَّتِه، وقد علم أميرُ المؤمنين ما أنا عليه من ثغور حَللت بين لَهَواتها، وعساكرَ لا تزال مُوقنةً بنَشْر غَيِّها، وبنَكْث آرائها، وقلَّةِ الخراج قِبَلي، والأهلُ والولد والمال قِبَل أمير المؤمنين، والأهلُ وإن كانوا في كفاية من برِّه وهو لهم كالوالد، غير أنِّي محتاجٌ إلى وصولهم إليَّ؛ لأؤدِّيَ حقَّ الله فيهم، ورأيُ أمير المؤمنين مستخرجٌ في المساعدة على حَمل ذلك إليَّ على يد فلان ـ رجل سمَّاه ـ غيرُ مُحرجٍ له إلى ضيقٍ يقع بمخالفته، أو حاملٍ برأي[3] يكون على غير موافقته، والسلام.

وكان للمأمون بالرقَّة مئةُ ألف دينار، وأهلُه وولده وعياله بالرقَّة، فكتب إليه محمَّد: أما بعد، فقد بلغني كتابُك يذكر كذا وكذا، فأمَّا المال، فالأَولى ردُّه في مواضعِ حقِّه، فإنَّ الواجبَ على أمير المؤمنين أن يَستظهرَ لدينه، وهذا مالُ المسلمين، وأما الأهلُ والولد، فأسيِّرهم إليك مع الثِّقة من رُسُلي. وذكر كلاماً حاصلُه أنه ما أجابه إلى شيءٍ من ذلك.

ولمَّا قرأ المأمون كتابَه قال: لَأَظَ[4] دون حقِّنا، فقال له الفضل: الرأي التمسُّك

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٣٨١.

(٢) لفظة: درهم، ليست في تاريخ الطبري.

(٣) في تاريخ الطبري ٨/ ٣٨٢: حامل له على رأي.

(٤) اللَّأْظُ كالمَنْع، أي: مَنَعَنا حقَّنا. تاج العروس: (لأظ).

بعُرْوَة الثِّقة، وحَسْمُ مَوادِّ الفُرقة، وعدم المكاشفة، والثباتُ إلى حين.

وعلم المأمونُ أنَّه سيحدث بعد هذا أمور، وأنَّه لا بدَّ من مكاتبة الخاصَّة، وأهلِ القَدْر والنَّباهة من الشِّيعة الذين ببغداد، فكتب إليهم كتباً سرًّا وكتاباً ظاهراً إلى محمَّد، وانتدب لذلك رسولاً، وقال له: إنْ خَلَعني محمَّد فأوصِل هذه الكتبَ إلى أربابها، وإن لم يفعل فأَمسِك عن إيصالها.

وكان في كتاب المأمونِ إلى محمَّد: أما بعد: فإنَّ أَمْرَ المؤمنين كأعضاء البَدَنِ، تحدث العلَّة في بعضها فيكون ذلك سبباً مؤلماً لجميعها، وكذلك الحَدَثُ في بعض المسلمين يسري إلى الكلّ، وما اختلف مختلفان وكان أحدُهما مع الله والحقِّ إلَّا تولَّى اللهُ معونته والمسلمون، وأنت -يرحمك الله- من الأمر بمَرأًى ومَسْمَع، وبمكانٍ إن قلتَ استُمع لقولك، وقد أوجب اللهُ علينا طاعتَك والإحسان، ولن يضيِّعَ الله ذلك، والسلام.

وقدم الرسولُ بغداد، فوافق قدومُه قطعَ الدعاءِ للمأمون على المنابر، فأوصل الكتبَ إلى أربابها، فمنهم مَن أجاب ومنهم مَن سكت، فكتب رسولُ المأمون إليه: أما بعد: فإنِّي قدمت البلدةَ وقد أعلن خَليطُك بتنكُّره، وأمسك عما يجب ذِكرُه بحضرته، ودفعتُ كتبك إلى أربابها، فوجدت أكثرَهم [وُلاةَ السَّريرة] بُغاة العَلانية، [ووجدت المُشرِفين بالرعيَّة] ما يبالون ما احتملوا [فيها][1]، والقوم على ما وصفت، فلا تجعل للتَّواني في أمرك نصيباً، والسلام.

وكان الأمينُ قد استشار يحيى بنَ سليم الكاتبَ في خلع المأمون، فقال له: كيف بذلك مع ما قد وكَّد له الرشيدُ من البَيعة، وتوثَّق له بالعهود والأيمانِ والشرائط في الكتاب المعلَّق في الكعبة؟! فقال له محمَّد: كان رأيُ الرشيد فيه خطأً، حمله عليه جعفرُ بن يحيى بسحره، واستماله برُقاه، فغَرس لنا غَرْساً مَكروهاً، لا يُنتفع بما نحن فيه إلَّا بقطعه، ولا تستقيم لنا الأمورُ إلَّا باجتثاثه.

فقال له يحيى: أما إذا كان هذا في عَزْمك، فلا تجاهرْه بذلك، فيستنكره الناسُ

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٣٨٤.

ويستشنعه العامَّة، ولكن استدعِ القائدَ بعد القائد، وآنِسه بالألطاف والهدايا، وأَرغبهم ومَن معهم بالأموال، فإذا استملتَهم وَهَنَت قُوَّته، وضَعُف حالُه، وأجابك رجاله، فمُرْه بالقدوم عليك، فإن قدم كان الذي تريد منه [وإن أبى، كنتَ قد تناولتَه][1] وقد كلَّ حَدُّه، وضَعُف رُكنُه، وانقطع عِزُّه.

فقال محمَّد: أنت خطيب مِهذار، ولستَ بذي رأيٍ مُصيب، فعدِّ عن هذا الرأيِ إلى الشيخ المُوَفَّق والوزيرِ الناصح -يعني الفضلَ بن الربيع- قم فالحقْ بمِدادك وأقلامك. فقام وهو يقول: ستعلم.

ودسَّ الفضلُ بن سهل إلى بغدادَ أقواماً يطالعونه بالأخبار يوماً بيوم، وقد بعث طاهرَ ابن الحسين إلى الرَّيِّ في جُنْد، وبعث محمَّد عصمةَ بن سالم[2] إلى هَمَذان في جُند، وولَّاه حربَ الجبال والرَّي، فأقام بهمذان، وحفظ طاهر الطُّرق، وأقام مَن يُفَتِّش النساءَ خوفاً من غائلة الكتب، وبعث طلائعَه واحترز، فقال بعضُ شعراء خراسانَ في طاهر: [من الوافر]

رمى أهلَ العراق ومَن عليها ... إمامُ العَدْل والمَلِكُ الرَّشيدُ
بأحْزَمِ مَن مَشَى رأياً وحَزْماً ... وكَيْداً نافِذاً فيما يَكيد
وعَزْمٍ ثاقِبٍ وعظيمِ بأسٍ[3] ... يَشيبُ لهَوْل صَولَته الوَليدُ

واستشار المأمونُ الفضلَ بن سهل وأخاه الحسنَ فيما يفعل، فقالا له: أمسِكْ مَوضعَك، فقال: كيف أقدر على ذلك ومع محمَّد الدنيا والأموالُ والرجال والسِّلاح، وليس معي شيءٌ من ذلك، وحولي الأعداءُ من كلِّ جانب؟! فقالا: الصَّبرَ الصَّبر؛ فإنَّه عُدَّة في النوائب، وقد غَدَر بك وسلَّ سيف البَغْي، وسوف يُقتَل به، فاثبت.

وحجَّ بالناس داودُ بن عيسى بنِ موسى بن محمَّد بن عليّ، وكان والياً على المدينة ومكَّة. وقيل: حجَّ بهم عليُّ بن الرشيد.

---

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٣٨٥.

(٢) في تاريخ الطبري ٨/ ٣٨٧: عصمة بن حماد بن سالم.

(٣) في تاريخ الطبري، والكامل ٦/ ٢٣٥: بداهية نآد خَنْفَقيق.

فصل وفيها توفي

حَفْصُ بن غياث

ابنِ طَلْق، أبو عبد الله[١] القاضي النَّخَعي [الكوفي.

ذكره ابنُ سعد] في الطبقة السابعةِ من أهل الكوفة [وروى أنَّ حفصاً] ولد سنةَ سبعَ عشرةَ ومئةٍ [في خلافة هشامِ بن عبد الملك، وكان يُكَنى أبا عمر][٢]، وولَّاه هارون القضاءَ ببغداد بالشَّرقية، ثم ولَّاه قضاءَ الكوفة، فلم يزل قاضياً عليها إلى أن مرض مرضاً شديداً، ومات بها في عشر ذي الحِجَّة [سنة أربع وتسعين ومئة في خلافة محمَّد ابن هارون] وكان ثقةً مأموناً ثبتاً، إلَّا أنه كان يُدَلِّس.

[وروى الخطيبُ عن] حُميد بنِ الربيع [قال][٣]: لمَّا جيء بعبد اللهِ بن إدريسَ وحفصِ بن غياث ووكيع بن الجرَّاح إلى هارونَ ليولِّيهم القضاء، دخلوا عليه، فأمَّا [ابن] إدريسَ فإنَّه قال: السلامُ عليكم، وطرح نفسَه كأنه مفلوج، فقال هارون: خذوا بيد الشيخ؛ فإنَّه لا فضلَ فيه. وأما وكيع، فوضع إصبعَه على عينه وقال: واللهِ ما أبصرتُ بها منذ سنين[٤]، وعنى إصبعَه، فأعفاه. وأما حفصٌ فقال: واللهِ لولا الدَّين والعيالُ لَما وليت. فلما ولي كان يقول بعد ذلك: لَأَن يُدخِلَ الرجل إصبعَه في عينه فيقلعَها ثم يرميَ بها خيرٌ له من أن يكونَ قاضياً.

و[قال أحمد بنُ كامل:][٥] طلب هارونُ يوماً حفصَ بن غياث وهو في مجلس الحكم، فقال: أنا أجيرُ المسلمين، إذا فرغت من أمورهم جئت. فلم يقم حتى تفرَّق الخصوم.

---

(١) كذا في (ب) و (خ)، والصواب: أبو عمر، وانظر التعليق الآتي.

(٢) في (ب): عمرو، والتصويب من طبقات ابن سعد ٨/ ٥١٢، وانظر تاريخ بغداد ٩/ ٦٨، والمنتظم ١٠/ ٢٩، وتهذيب الكمال، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٩٤.

(٣) في (خ): وقال حميد بن الربيع. والخبر في تاريخ بغداد ٩/ ٦٩ .

(٤) في تاريخ بغداد: سنة.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب).

وقال غنَّام بن حَفْص: مرض أبي خمسةَ عشرَ يوماً، فدفع إليَّ مئةَ درهم وقال: امضِ بها إلى العامل وقل له: هذه رزقُ خمسة عشر يوماً لم أحكمْ فيها بين المسلمين، فدفعتها إليه.

وقال يحيى بنُ الليث: باع رجلٌ من مَرْزُبان المجوسيِّ وكيلِ زُبيدةَ جِمالاً بثلاثين ألفِ درهم، فمَطَله ولم يُعطِه شيئاً، فجاء الرجلُ إلى بعض أصحابِ حفصٍ فأخبره الخبر، فقال: اِذهب إليه وقل له: أَعطِني ألفَ درهم وأُحيل عليك بالباقي، فأعطاه ألفَ درهم، وأتى الرجلَ فأخبره، فقال له: اذهب إليه وقل له: اِجعل طريقَك غداً على القاضي حتى أوكِّلَ بقبض[1] المال. فمضى إلى المجوسيِّ وقال: أَفعل، وحضر مجلسَ حفص، فادَّعى عليه الرجلُ بتسعةٍ وعشرين ألفَ درهم، فاعترف، فقال له حفص: أدِّ المال، فقال: هو على السيِّدة، فقال: وأنت أحمق! تُقِرُّ ثم تقول: على السَّيدِّة! فأمر بحبسه، وبلغ أمَّ جعفر، فأرسلت إلى السِّندي فأَخرج المجوسي، وبلغ حفصاً فقال: أَحبس أنا ويُطلِق السِّندي! [لا جلستُ مجلسي هذا أو يردَّ مرزبانُ إلى الحبس] فأرسل إلى[2] زبيدةَ يقول: اللهَ اللهَ فيَّ؛ فإنَّه حفص بن غياث، وأخاف أميرَ المؤمنين.

فردَّته إلى الحبس، ودخلت على هارونَ فقالت: قاضيك أحمق، فعل بوكيلي كذا وكذا، مُرْه لا ينظر في الحكم، وتولِّي أمرَه أبا يوسف، فكتب لها كتاباً بذلك، وبلغ حفصاً، فقال للرجل: أَحضِر لي شهوداً لأسجِّلَ على المجوسيِّ بالمال، ففعل، وجاء الخادمُ بالكتاب فقال: هذا كتابُ أمير المؤمنين، فقال له حفص: مكانَك، نحن في شيءٍ حتى نفرغَ منه، ولم يأخذ الكتابَ حتى سجَّل بالمال، ثم أخذ الكتابَ ووقف عليه وقال له: قل لأمير المؤمنين: قد أَنفذت الحكم، فقال الخادم: قد علمتُ واللهِ ما صنعتَ، أَبيتَ أن تأخذَ الكتاب حتى تفرغَ مما أردت، واللهِ لأُخبرنَّ أمير المؤمنين،

(١) في (خ): ببعض، والمثبت من تاريخ بغداد ٩/ ٧١.

(٢) في تاريخ بغداد: فجاء السندي إلى ...، وما بين حاصرتين منه، وهذا الخبر ليس في (ب).

فقال: أخبره، فجاء الخادمُ فأخبر هارون، فضحك وقال: احملْ إلى حفصٍ ثلاثين ألفَ درهم، وبلغ أمَّ جعفر، فقالت: لا أنا ولا أنت حتى تعزلَ حفصاً، فقال: لا أَعزلُه، فألحَّت عليه، فعزله عن الشَّرقية وولَّاه قضاءَ الكوفة، فأقام ثلاثَ عشرةَ [سنة] قاضياً عليها، وعلى بغدادَ سنتين.

[وكان حفصٌ يقوم الليل][1] ومات وعليه سبعُ مئة درهمٍ دَين، وكان يقول: واللهِ [الذي لا إله إلَّا هو] ما وليت القضاءَ حتى حلَّت لي المَيتة.

ولمَّا ولي القضاءَ قال أبو يوسفَ لأصحابه: اكسروا دفتراً واكتبوا فيه نوادرَ[2] حفص، فمرَّت قضاياه في أحكامه مثل القِدح[3]، فقيل لأبي يوسفَ في ذلك، فقال: ما أصنع بقيام الليل، إنَّ حفصاً أراده اللهُ فوفَّقه. يعني أنَّ حفصاً كان يقوم الليل.

[ذِكر وفاته:

قد حكينا عن ابن سعدٍ أنَّه مات في سنة أربعٍ وتسعين ومئة[4]. وصلَّى عليه الفضلُ بن العباس وهو يومئذٍ على الكوفة.

وروى الخطيب[5] عن عمرَ بنِ حفص بن غياثٍ قال:] لمَّا حضرت أبي الوفاةُ أُغمي عليه، فبكيت عند رأسه، فأفاق فقال: ما يُبكيك؟ قلت: أبكي على فراقك ولِمَا دخلتَ فيه من هذا الأمر، يعني القضاء، فقال: لا تبكِ؛ فإنِّي ما حَلَلْتُ سَراويلي على حرامٍ قطّ، وما جلس بين يديَّ خصمان فباليتُ على مَن توجَّه الحقُّ بينهما.

[وقال خليفة[6]: مات حفصٌ سنةَ أربعٍ وتسعين ومئة. وقيل: سنةَ خمسن وتسعين ومئة] أسند حفصٌ عن عبيد الله بن عمرَ العُمريِّ وغيره، وروى عنه الإمامُ أحمد رحمةُ الله عليه وغيرُه، واتَّفقوا على صدقه وأمانتِه وورعه رحمةُ الله عليه.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) في (خ): نوال، والمثبت من تاريخ بغداد ٩/ ٧٤.

(٣) القدح: السهم قبل أن يراش وينصل. القاموس المحيط (قدح).

(٤) في (خ): وقيل: إنه مات سنة خمس أو ست أو تسع وستين ومئة، والمثبت من (ب).

(٥) في تاريخه ٩/ ٧٠. وما بين حاصرتين من (ب).

(٦) في طبقاته ص١٧٠. وما بين حاصرتين من (ب).

[سَلم بن سالم

أبو محمَّد، وقيل: أبو عبدِ الله[١]، البَلْخي.

قال الخطيب: قدم بغدادَ وحدَّث بها، وكان مذكوراً بالعبادة والزُّهد، مكث أربعين سنةً لم يُفرَش له فراش، ولم يُرَ مفطراً إلا يومَ فطر أو أضحى، ولم يرفع رأسَه إلى السماء حياءً من الله أكثرَ من أربعين سنة، وحجَّ مراراً فلم يستند إلى مَحمِل ولا غيرِه.

وحكى الخطيب[٢] أيضاً عن أبي مُقاتلٍ السَّمَرْقَنْديِّ أنه قال: سلمٌ عينٌ من عيون الله تعالى في الأرض، وهو في زماننا كعمرَ بن الخطابِ في زمانه.

وكان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، صارماً في ذلك، قدم بغدادَ فرأى فيها المُنكَرات، فشنَّع على هارون، فأخذه وحبسه، وقيَّده باثني عشرَ قيداً، فكلَّمه فيه أبو معاوية الضَّرير، وقال: تقيِّد مثل هذا الرجلِ باثني عشرَ قيداً! فقال هارون: أليس هو القائلَ في المسجد الحرامِ: لو شئتُ لضربت هارونَ بمئة ألفِ سيف؟ فخفَّف عنه وبقي أربعةُ قيود.

وكان مجابَ الدَّعوة، وكان يدعو ويقول: اللهمَّ لا تُمتني في حبس هارونُ. فمات هارون فأخرجه محمَّد، وقيل: زبيدة، وكانت وفاته في سنة أربعٍ وتسعين ومئةٍ عند أهله.

قال الخطيب: قال ابن خراش: كان أسلمُ ظاهرَ الخُشوع، يلْبَس الصوفَ، ويركب الحمار، ويَعِظ ويحدِّث[٣]، فكان يقول في حبسه: اللهمَّ لا تُمتني في حبس هارون، واجمع بيني وبين أهلي، فلمَّا مات هارون أُخرج، فأتى مكةَ فوافى أهلَه بها قد حجُّوا، فمرض، فاشتهى الجَمَدَ أبو البَرَد، فمطرت السماءُ بَرَداً، فأكل، ومات في ذي الحِجَّة بين أهله.

---

(١) كذا في (ب)، وفي تاريخ بغداد ١٠/ ٢٠٢، والمنتظم ١٠/ ٨: أبو عبد الرحمن، وانظر تاريخ الإسلام ٤/ ١١٢٠، والسير ٩/ ٣٢١. والترجمة غير موجودة في (خ) وكذا التي بعدها.

(٢) في تاريخه ١٠/ ٢٠٤.

(٣) أخرجه في تاريخه ١٠/ ٢٠٨ بنحوه عن كتاب أحمد بن أبي علي، وأخرج عن ابن خراش قوله: سلم بن سالم ليس بشيء.

شَقيق بن إبراهيمَ البَلْخي

أبو عليٍّ الأزديّ[١]. أحد مشايخ الصُّوفيةِ بخُراسان. كان له لسانٌ في التوكُّل، وهو أول من تكلَّم في علوم الأحوالِ بخراسان، صحب إبراهيمَ بن أدهمَ وأخذ الطريقةَ عنه، ولقي سفيانَ الثوريَّ وعبَّاد بن كثيرٍ وغيرَهم، وهو أستاذ حاتمٍ الأصمّ.

ذِكر سببِ توبة شقيق:

روى أبو نُعيم الحافظُ بإسناده[٢] إلى عليِّ بن محمَّد بن شَقيق قال: خرج جدِّي شقيقٌ إلى بلاد الترك في تجارةٍ وهو حَدَث، فدخل بيتَ الأصنام، فقال لعالِمِهم: إنَّ هذا الذي أنتم فيه باطل، ولهذا الخلقِ خالقٌ ليس كمثله شيء، وهو رازقُ كل شيءٍ. فقال له العالم: ليس يوافق قولَك فعلُك، قال: ولم؟ قال: زعمتَ أنَّ لك خالقاً رازقاً وقد تَعَنَّيتَ إلى هاهنا لطلب الرِّزق! قال شقيق: فوقع في قلبي كلامُه، فرجعت فتصدَّقت بجميع ما أملك وطلبت العلم.

قال عليُّ بن محمَّد: وكان لجدِّي شقيقٍ ثلاثُ مئة قرية، ولم يكن له يومَ مات كفن، قدَّم ذلك كلَّه بين يديه، وسيفُه إلى الساعة معلَّق يتباركون به.

وذكر ابنُ خميسٍ في «مناقب الأبرار» معنى هذه الحكايةِ وقال: كان شقيقٌ من أبناء الأغنياء، خرج إلى بلاد التُّرك في تجارة، فدخل بيتَ الأصنام، فرأى خادمَها قد حلق رأسَه ولحيته، ولبس ثياباً أُرجوانية، فقال له: ما هذا! وذكر الحكايةَ وقال: قال شقيق: فنفعني اللهُ بكلام التُّركي. فكان سبب تزهُّده[٣].

ذكر طرف من أخباره:

حكى أبو نُعيمٍ[٤] عنه أنه قال: خرجت عن ثلاث مئةِ ألف درهم، وكنت مرابياً، ولبست الصوفَ عشرين سنة وأنا لا أعلم، فلقيت عبدَ العزيز بن أبي رَوَّاد، فقال لي: يا

---

(١) تفردت نسخة (ب) بهذه الترجمة كما سلف التنبيه على ذلك في ترجمة سلم، وقد تقدمت ترجمته مطولة في سنة (١٥٣هـ) مثبتة عن نسخة (خ) فقط، وذكرنا هناك أنه تابع في إثباتها جدَّه، وانظر طبقات الصوفية ٦١، حلية الأولياء ٨/ ٥٨، تاريخ دمشق ٨/ ٩٤ (مصورة دار البشير)، المنتظم ٨/ ١٧٠، صفة الصفوة ٤/ ١٥٩، مناقب الأبرار ١/ ١٧٩، تاريخ الإسلام ٤/ ١١٢٧، السير ٩/ ٣١٣.

(٢) في حلية الأولياء ٨/ ٥٩، وعنه التوابين ١٧٩ .

(٣) مناقب الأبرار ١/ ١٧٩.

(٤) في الحلية ٨/ ٥٩.

شقيق، ليس الشأنُ في أكل الشعير، ولا في لُبس الصوف، إنما الشأنُ في المعرفة، وأن تعبدَ الله خالصاً، ثم قرأ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ١١٠]الآية. وفي رواية: يا شقيق، إنَّما الشأن في معرفة الله، فاعبده ولا تشركْ به شيئاً، ثم كن راضياً عنه، ثم كن أوثقَ بما في يديه من يد المخلوقين.

وقال السُّلمي: قال شقيق: لقيت سفيانَ الثوريَّ وأخذت لباس الدُّون منه، كان عليه إزارٌ قدرَ أربعة أذرع، ثمنه أربعةُ دراهم، إذا جلس جلس متربعاً[١] مخافةَ أن تبدوَ عورته، وأخذت الخشوعَ من إسرائيلَ بنِ يونس، كان لا يعرف يمينَه من شِماله، ولا تُذكَر الدنيا بين يديه، وأخذت التقلُّل من ورقاءَ بنِ عمرَ المدائني، كان يسمع عليه تفسير القرآن، فيتغدَّى بخبز الشعيرِ والخلِّ والزيت، وأخذت الزهدَ من عبَّاد بن كثير، كان يدخل بيته وفيه القدور تغلي بالحامِض والحلو، فأنكرت ذلك، فقال لي خادمٌ له: واللهِ إنَّه منذ سبعِ سنين لم يأكل لحماً، وإنما يُطعم هذه القدورَ الفقراءَ والمساكين والزَّمنى ومَن لاحيلة له، وأخذت التوكُّل من إبراهيمَ بن أدهم، كان يُهدَى إليه الشيءُ فيتصدَّق به، فيقال له: هلَّا ادَّخرت منه شيئاً لإفطارنا، فيقول: أَمَا تخافون من عقوبة المولى؛ لطول آمالكم وسوء ظنِّكم بربِّكم؟! فثقوا به وأَحسِنوا الظنّ، فما عندكم يَنفَد وما عند اللهِ باق، وأخذت الفقهَ من زُفرَ[٢] بن الهُذَيل، ما ناظره أحدٌ إلا رحمناه

وحكى أبو نُعيم[٣] عن حاتم الأصمِّ قال: كنَّا مع شقيقٍ في مصافِّ الترك، في يومٍ لا أرى فيه إلَّا رؤوساً تَندُر[٤] وسيوفاً تقطع، فقال لي ونحن بين الصفَّين: يا حاتم، كيف ترى نفسَك في هذا اليوم؟ مثلَ الليلة التي زُفَّت فيها إليك امرأتُك؟ فقلت: لا والله، فقال: ولكني واللهِ أرى نفسي مثلَ تلك الليلة، ثم ألقى دَرَقَتَه[٥] تحت رأسه ونام حتى سمعتُ غطيطَه.

---

(١) في (خ): مربعاً، والمثبت من تاريخ دمشق ٨/ ٩٧ (مخطوط)، وقد أخرجه من غير طريق السلمي.

(٢) تحرف في (خ) إلى: زين، وانظر سير أعلام النبلاء ٩/ ٣١٥.

(٣) في الحلية ٨/ ٦٤.

(٤) أي: تسقط.

(٥) الدرقة: الترس من جلد ليس فيه خشب ولا عقب. المعجم الوسيط (درق).

وحكى ابنُ خميسٍ في «المناقب» أنَّه كان يعاشر الفتيان، وكان عليُّ بن عيسى بنِ ماهان أميراً على خراسان، وكان يومئذٍ ببَلْخ، وله كلابُ صيد، وكان مغرًى بهنّ، ففقد كلباً من كلابه وفي عنقه قِلادةٌ من ذهب، فسُعي برجل من جيران شقيقٍ أنه عنده، فطُلب الرجل، فدخل دارَ شقيقٍ مستجيراً به، فمضى شقيقٌ إلى الوالي وقال: [خلُّوا][1] عن الرجل، إنَّ الكلب في ضماني، أردُّه إليكم بعد ثلاثة أيام، فلمَّا ذهب يومان من الثلاثة، قدم رجلٌ من تجَّار بلخ من سفر، فرأى الكلبَ في البرية وفي عنقة القِلادة، وكان صديقاً لشقيق، فبعثه إليه، فسُرَّ به وبعث به إلى الوالي، فبرئ الرجل، فانتبه شقيقٌ وسلك طريقَ الزهد.

وحكى عنه أبو نُعيم أنه قال: بلغني عن رجلٍ من المنقطعين بالبصرة، قال: فدخلت عليه، فقال: مَن أنت؟ قلت: شقيقٌ البلخي، قال: مؤدِّب أهلِ خراسان المتوكِّل في التوكُّل؟ قلت: كذا يقال، قال: فما بلغ من توكُّلك؟ قال: استوى عندي العِمران والخراب، فنظر إليَّ كالمُنكِر عليَّ وقال: إنَّما يَشكُّ في الرِّزق مَن يشكُّ في الخالق، فلو كنتُ طيراً لمَا[2] استحللتُ أن أطيرَ فوق دارٍ أنت ساكنها.

وحكى السُّلمي عنه قال: حججت، فبتُّ ليلةً في المسجد الحرام حيالَ الكعبة، ونزل مَلَكان من السماء فوقفا عليّ، فقال أحدُهما للآخر: كم حجَّ العام، فقال له الآخَر: ثلاثة أنفس، فقال: هذا فيهم؟ وأشار إليّ، قال: لا، قال: ولم؟ قال: له ثوبان. قال: فلمَّا كان العامُ المقبل، حججت في عَباءٍ ونمت في ذلك المكان، وإذا بهما قد نزلا، فقال أحدهما للآخَر مثلما قال في العام الماضي، فقال له: وشقيقٌ فيهم؟ قال: نعم، وقد شفَّعه اللهُ في جميع مَن حجّ[3].

ذِكر نُبذةٍ من كلامه:

حكاه عنه أبو نُعيم والسُّلمي وابن خميسٍ في «المناقب»[4] وغيرُهم، روى عنه حاتمٌ

---

(١) زيادة يقتضيها المعنى، وفي تاريخ دمشق ٨/ ٩٦، ومناقب الأبرار ١/ ١٨١: خلوا سبيله.

(٢) في (ب): لم.

(٣) هذا الخبر وسابقه في مناقب الأبرار ١/ ١٨٤، ١٨٥.

(٤) انظر حلية الأولياء ٨/ ٥٨ فما بعد، وطبقات الصوفية ص٦١ فما بعد، ومناقب الأبرار ١/ ١٨٤ وما قبلها وبعدها.

الأصمُّ قال: قال شقيق: قرأت أربعةً وعشرين كتاباً في التوحيد، فوجدت معانيهَا في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وقال حاتم: حجَّ شقيق، فقدم الكوفة، فلقيه سفيانُ الثوريُّ فقال له: أنت الذي تدعو إلى التوكُّل وتمنع من المكاسب؟ فقال شقيق: ما قلت، قال: فقال له: فكيف قلت؟ قال: قلت: حلالٌ وحرام [و] فيما بين ذلك، وإنَّما دخلت الآفةُ من الخاصَّة على العامة، وهم خمسُ طبقات: العلماء، والزهَّاد، والغزاة، والتجَّار، والملوك.

فأما العلماءُ، فهم ورثة الأنبياء، والأنبياءُ لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنَّما ورَّثوا العلم، فإذا كان العالِمُ طامعاً جامعاً، فالجاهل بمَن يقتدي! وأما الغُزاة، فهم الذين يَذبُّون عن الدِّين، فإذا كان الغازي يقعد عن الجهاد ويحبُّ الراحة، فمن يغزو! وأمَّا التجار، فهم أمناءُ الله في أرضه، فإذا كان الأمينُ خائناً، فبمن يقتدي المودع[1]! وأمَّا الملوك، فهم الرُّعاة، فإذا كان الراعي هو الذئبُ، فالذئب كلُّ ما وجده يأكله، فقد فسدت المكاسبُ وانسدَّت طرقها. فقال له سفيان: صدقت.

وقال حاتم: دخل شقيقٌ الرَّي، فأتاه فيها محمَّد بن مقاتل الرازي، فقال له: إن رأيتَ أن تجعلَ مقامك عندي أنت وأصحابُك إلى أن ترحلَ فافعل، فقال شقيق: أخاف أن تظهرَ مني على عيبٍ فتبعدني، ثم أرجع إليك فلا تقبلني، فدعني مع مَن أنا معه على العيوب، وهو يرزقني، وإذا اطَّلع مني على زلَّة سترني.

وقال حاتم: سأل شقيقٌ جعفرَ بن محمَّد الصادقَ عن التوكُّل، فقال: ما تقول أنت يا شقيق؟ فقال: إن أُعطينا شكرنا، وإن مُنعنا صبرنا، فقال جعفر: وكلابُ المدينةِ عندنا كذلك، فقال: فما تقول أنت يا ابنَ رسولِ الله ﷺ؟ فقال: إن مُنعنا صبرنا، وإن وجدنا آثرنا.

وقال شقيق: قرأت القرآن عشرين سنةً أميِّز بين الدنيا والآخرة، فوجدته في حرفين: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[2] [النحل: ٩٦].

---

(١) في تاريخ دمشق ٨/ ٩٩: فالخائن بمن يقتدي.

(٢) في طبقات الصوفية ص٦٤، والحلية ٨/ ٦٠، ومناقب الأبرار ١/ ١٨٠ مكانَ هذه الآية قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [القصص: ٦٠].

وقال: احذر الأغنياء؛ فإنَّك إن ملتَ إليهم بقلبك فقد اتَّخذتهم أرباباً من دون اللهِ تعالى.

وقال: ليس شيءٌ أحبَّ إليَّ من الضيف؛ فإنَّ رزقَه على الله، وأجره لي.

وقال: طهِّر قلبَك من أعراض الدنيا ليدخلَ فيه حبُّ الآخرة.

وقال: إذا شئت أن تكونَ في راحة، فكُلْ ما أصبت، والبَس ما وجدت، وارضَ بما قضى اللهُ عليك.

وقال: جعل اللهُ أهلَ طاعته أحياءً في مماتهم، وأهلَ معصيته أمواتاً في حياتهم.

وقال: لو أنَّ رجلاً عاش ألفَ سنةٍ ولم يعرف هذه الأربعةَ أشياء استحقَّ إعراضَ الله عنه: معرفةُ الله، ومعرفة نفسِه، ومعرفة علمِ الله، ومعرفة عدوِّه، فأمَّا معرفة الله، فإنَّه يعرفه في السِّر والعلانية، وأنَّه لا مانعَ ولا معطيَ سواه، وأما معرفةُ نفسه، فإنَّه يعرفها في ضعفه وعجزِه، وأنَّه لا يستطيع أن يردَّ عنها شيئاً قضاه اللهُ تعالى، وأما معرفة علمِ الله، فأن يعرفَ أنَّ اللهَ لا يقبل من الأعمال إلَّا ما كان خالصاً لوجهه، وعلامة الإخلاص ألَّا يطمعَ في أحدٍ من الناس، ولا يريدَ محمدتَهم، وأما معرفة عدوِّه، فهو إبليس، فيخالفه في جميع ما يأمره لينصرَه اللهُ عليه.

وقال: الفقر يقارنه ثلاثةُ أشياء: تعب النفْس، وشغلُ القلب، وشدَّة الحساب. والزُّهد يقارنه ثلاثة: فراغ القلب، وخفَّة الحساب، وراحةُ النفس. وقال: العبادة عشرةُ أشياء، تسعة منها في الهرب من الناس، وواحدةٌ في السكوت.

وحكى أبو نُعيم[1] عن حاتم قال: قال لي شقيق: اصحب الناسَ كما تصحب النار، خذ منفعتَها واحذر أن تحرقَك.

ذِكر وفاتِه:

قال السُّلمي: استُشهد شقيقٌ في غَزاة كُولان[2] في سنة أربعٍ وتسعين ومئة.

وحكى عن إبراهيمَ بن أدهم، وقد ذكرناه في ترجمته، وعن سفيان الثوريِّ وغيره].

---

(١) في الحلية ٨/ ٧٧.

(٢) في (ب): كولاب، والمثبت من تاريخ دمشق ٨/ ١٠٢، والسير ٩/ ٣١٦. وكولان: بليدة طيبة في حدود بلاد الترك من ناحية بما وراء النهر. معجم البلدان، وانظر التعليق أول الترجمة.

أبو نَصْرٍ الجُهَيْني المُصاب

من أهل المدينة. [ذكر له الخطيبُ حكايةً عن] محمَّد بن إسماعيلَ بنِ أبي فُدَيك المدني [قال][(١)]: كان [عندنا بالمدينة رجلٌ مُصاب من جُهينةَ يقال له: أبو نصر] يجلس مكانَ أهل الصُّفَّة من مسجد رسولِ الله ﷺ لا يكلِّم أحداً، فإذا سئل عن شيءٍ أجاب بجوابٍ حسن، [قال:] فقلت له يوماً: يا أبا نصر، ما الشَّرَف؟ فقال: حملُ ما ناب العشيرة، أدناها وأقصاها، والقبولُ من محسنها، والتجاوزُ عن مسيئها، قلت: فما المروءة؟ فقال: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، وتوقِّي الأدناس، قلت: فما السَّخاء؟ قال: جهد المُقِلّ، قلت: فما البخل؟ فقال: أفّ، وحوَّل وجهه عني، فقلت: أما تجيبني؟ فقال: قد أجبتك.

قال: وقدم علينا هارون حاجًّا، فأُخلي له المسجد، فوقف على قبر رسول الله ﷺ وعلى منبره وفي موقف جبريل، واعتنق أُسطوانة التوبة[(٢)] ثم قال: قِفوا بي على أهل الصُّفَّة، فأتاهم، فحرَّك أبو نصر وقيل له: هذا أميرُ المؤمنين، فرفع رأسَه إليه وقال: أيها الرجل، إنَّه ليس بين عبادِ الله وأمَّة نبيِّه وخلقِه غيرُك، وإنَّ اللهَ سائلك، فأعدَّ للمسألة جواباً، وقد قال عمرُ بن الخطاب: لو ضاعت سَخْلةٌ[(٣)] بشاطئ الفرات لَخفت أن أُسألَ عنها، [قال:]وهارون واقفٌ يبكي، ثم قال: يا أبا نصر، إن رعيَّتي ودهري غيرُ رعيةِ عمر ودهرِه، فقال له: هذا واللهِ غير مُغْنٍ عنك، فانظر لنفسك، فإنَّك وعمرَ تُسألان عمَّا خوَّلكما الله فيه.

فدعا هارونُ بثلاث مئةِ دينار وقال: اِدفعوها إلى أبي نصر، فقال: لا أريدها، فقال: فرِّقها في أهل الصُّفَّة، فقال: اِدفعها إلى غيري يفرِّقْها، وإنَّما أنا رجلٌ منهم.

وكان أبو نصر يمشي[(٤)] كلَّ يوم في أزقَّة المدينةِ ويَعِظُ الناس، ثم يُلازم المسجدَ إلى الليل.

---

(١) في (خ): وقال محمد بن إسماعيل، والمثبت من (ب)، والحكاية أخرجها ابن الجوزي في المنتظم ١٠/ ٩-١٠ من طريق الخطيب، وذكرها في صفة الصفوة ٢/ ١٩٩ أيضاً.

(٢) تحرفت في المنتظم إلى: النبوة.

(٣) السخلة: ولد الغنم من الضأن والمعز ساعة وضعه ذكراً كان أو أنثى. مختار الصحاح (سخل).

(٤) في (ب): وذكر الحكاية وأنه كان يمشي.